الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر وفى نصف

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ فى مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العدد ٢٣ — ٢٩ شوال سنة ٣٥٦ — أول يناير سنة ١٩٣٨ — السنة الأولى

فهرس العدد

صفحة			
١٤١٨	جولى رومان	القصصى الفرنسي جى دى موباسان	بقلم أحمد حسن الزيات
١٤٢٤	عايدة	أقصوصة مصرية	بقلم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى
١٤٣١	عشية أو ضحاها	القصصي الروسى ليونيد أندرييف	بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعة
١٤٤٠	الجزاء	أقصوصة ريفية	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
١٤٤٥	مهر الشاعر	أقصوصة مصرية	بقلم الأستاذ محمود بك خيرت
١٤٥٢	غرام	للكاتب الروسى أنطون تشيكوف	بقلم الأديب السيد جورج سلستى
١٤٦٤	اعترافات فتى العصر	لألفريد دى موسيه	بقلم الأستاذ فليكس فارس
١٤٧٤	الأوذيسة	لهوميروس	بقلم الأستاذ دريني خشبة

چولى رومان

للقصصى الفرنسى جى دى موباسان

بقلم احمد حسن الزيات

منذ عامين كنت أسير فى الربيع على ساحل البحر الأبيض . وألذ الأشياء أن تفكر وأنت سائر في الطريق على مهل . وهل أجمل من أن تسير فى الضياء وفى الهواء على حدُور الجبل أو على سيف البحر وأنت تحلم ؟ ويا كثرة ماينثال على نفسك الهانئة فى هاتين الساعتين اللتين تمشيهما أحلام الحب وأوهام الخاطر ! تهب عليك الأمانى البهمة البهيجة فترشفها مع النسيم العليل الفاتر ، فتحدث فى قلبك شهوة السعادة كما يُحدث المشى فى نفسك شهوة الطعام ؛ وتطير حواليك الخواطر السواحر عِجالاً مغرِّدات كأنها أطيار الربيع !

كنت أسير فى ذلك الطريق اللاحب الذاهب من سان رفائيل إلى إيطاليا ، أو بالحرى ذلك الزخرف الأنيق المتغير الممتد الذى تراه فتحسبه خُلق لتمثل جميع ما قال الشعراء من قصائد الغزل وأناشيد الغرام . وكنت أفكر فى أن الناس إنما يأتون هذه البلاد من (كان) حيث يسترفهون ، إلى (مونا كو) حيث يقامرون ، ليظهروا الزهو والصلف ، أو ليتعاطوا اللهو والسرف ، فيعرضوا تحت هذه السماء الحافلة بالسحر والجمال ، وفوق هذه الجنة الحالية بالورد والبرتقال ، غطرستهم السافلة ، ودعاواهم الباطلة ، ورغباتهم الخسيسة ، ويصوروا الذهن البشرى على جبلته الأولى من الحقارة والجهالة والكبرياء والطمع . وعلى حين بغتة رأيت فى آخر فرضة من الفُرض الرائعة التى يصادفها السائر فى كل منعطف هناك ، أربع دور أو خمسا يقمن فى وجه البحر ، وتحت أقدام الجبل ، وأمام غابة موحشة من الصنوبر تمتد وراءهن إلى بعيد فى واديين كبيرين لا طريق فيهما ولا منفذ

وكان أحد هذه الجواسق أنيقاً معجباً ، فقيّد بصرى بحسنه ، واستوقف خطاى على بابه . وهو مسكن صغير أبيض الجدران أسمر النوافذ قد كسته الورود المتسلقة من أساسه إلى سقفه . أما حديقته فبساط من الزهر تجمّع فيه كل لون وكل شكل ، فكان خليطاً عجيباً من الأناقة الفريدة والظرف النادر . فإذا سرحت بصرك فى أفنيته وجنباته رأيت الخضرة النضيرة تغطى كل شبر من أرضه ، وألفاف الثوْر تجمّل كل درجة من سلمه ، وعناقيد الورد الأزرق أو الأصفر تتدلى على واجهته ، وأكاليل الزهر الأحمر تتألق على أعمدة مَشْرَفه ؛ وأبصرت من خلفه ممشى من أشجار البرتقال المزهرة يمتد حتى يقف عند حضيض الجبل

* * *

دنوت من الباب فقرأت عليه هـذا الاسم مكتوباً بحروف صغيرة من الذهب : (ڤيلا أنطان) فقلت لنفسى : ليت شعرى أى شاعر أو أية حورية يسكن هنا ؟ أى مُخْتَلٍ ملهم كشف هذا المكان وشاد فيه هذا المنزل الذى تطير فيه الأحلام ويتنزل عليه الإلهام ويطيف به الجمال كأنما نبت فى طاقة من الريحان والزهر ؟

وكان على مقربة من هناك عامل من عمـال الطرق يقطع الصخر ، فسألته : مَن صاحب هذه الجنة ؟ فقال : السيدة چولى رومان

چولى رومان ! لطالما سمعت وأنا فى فجر أيامى هذا الاسم يتردد على الأفواه ! ذلك اسم الممثلة الـكبيرة منافسة الممثلة الشهيرة راشيل ! تلك هى الفنانة الفتانة التى لم تنل امرأة ما نالت من تصفيق المعجبين وتنافس المغرمين وتدليل الأحبة ! ما أكثر ما وقع فى سبيلها من حوادث المبارزة والانتحار ! وما أشهر ما استفاض حول اسمهـا من المغامرات والأحاديث !

ما عمر هذه الساحرة الغوية اليوم ؟ ستون ؟ سبعون ؟ خمس وسبعون ؟

چولى رومان ! هنا ، فى هـذا البيت ! هنا ، تسكن المرأة التى تيمت أندر العبقريات الشعرية ، وأنبغ القرائح الموسيقية فى هـذا البلد !

لا أزال أذكر تلك الرجفة التى أصابت فرنسا بأسرها وأنا يافع حين فرت هذه الممثلة إلى صقلية مع هذا ، بعد أن قطعت أسبابها مع ذاك

لقد سافرت مع حبيبها الشاعر ذات مساء بعد أن مثلت إحدى المآسى الجديدة ، وهتف لها الجمهور نصف ساعة متصلة ، ودعاها إلى الظهور إحدى عشرة مرة متعاقبة . سافرت هى وهو على مركبة البريد كما كانوا يسافرون يومئذ ، فعبرا البحر ليحييا حياة الهوى والصبابة فى الجزيرة العتيقة تحت ظلال البرتقال التى تكتنف (بالِرْمَ) ، وتسمى صدفة الذهب

لقـد كان الناس يتحدثون عن صعودها إلى بركان (أطنة) ويذكرون كيف انحنيا على فوهته الوسيعة وهما ملتصقان خداً لخد يريدان أن يلقيا بنفسيهما فى هاوية جهنم

لقد مات ! مات صاحب الشعر المضطرب الذى أدار بعمقه رأس جيل ، وفتح بدقته وأسراره عالما جديداً للشعراء الجُدُد

ومات الآخر كذلك ! مات ذلك المهجور الذى ابتكر من أجلها جملا من الموسيقى بقيت فى كل ذاكرة ، وتراكيب من النصر واليأس حزّت فى كل قلب

وبقيت هي بعدهما فى هذا البيت المنتقب بالزهور المحتجب فى خميلة من الفتنة !

* * *

غمزت الجرس غير متردد ولا متلكئ ، ففتح الباب غلام فى نحو الثامنة عشرة من عمره ، على وجهه ويديه دلائل الحمق والبلاهة . فناولته بطاقتى بعد أن كتبت عليها تحية رقيقة للممثلة العجوز ، ورغبة شديدة فى أن ألقاها ؛ فلعلها تعرف اسمى فتسمح لى بالدخول

ذهب الخادم ورجع ، فطلب إلى أن أتبعه ، فتبعته إلى بهو نظيف ظريف ضخم الأثاث على طراز لويس فيليب . وكانت فيـه جارية فى سنتها السادسة عشرة ممشوقة القوام عليها مسحة من

الحسن ، فرفعت مكنستها احتراماً لى ، ثم انصرفت وبقيت وحدى

* * *

كان على حوائط البهو ثلاث صور : صورة الممثلة فى أحد أدوارها ، وصورة للشاعر فى ردنجوته ، وصورة للموسيقار أمام بيانه . وكانت هى فى زى ذلك العهد شقراء فاتنة تبتسم بشفتها الرقيقة وبعينها الزرقاء ؛ وقد تأنق المصور فى صورتها وافتنّ فجاءت بديعة متقنة . وكان كل ما فى البهو يشعر بالقِدم ويتحدث عن الآلاف الذاهبين والأيام الخوالى

فتح أحد الأبواب ودخلت امرأة شمطاء نحيلة الظل ضاوية ، قد لفع رأسها الشيب وابيض حاجباها وأهدابها فبدت كأنها الفارة البيضاء . فمدت يدها إلىّ وقالت فى صوت لا يزال على طراوته وحلاوته ورنينه :

— شكراً لك يا سيدى ! فإن من كرم الخلال أن يفكر رجال اليوم فى نساء الأمس ! تفضل بالجلوس

ذكرت لها أن جمال بيتها استهوانى وأغوانى فسألت عن صاحبه ؛ فلما عرفت أنه هى لم أستطع أن أقاوم رغبتى فى طلب الإذن عليها . فقالت : إن ذلك ليثلج صدرى ويبهج نفسى ياسيدى . وهذه أول مرة يقع فيها مثل ذلك . حينما أُلقيتْ إلىّ بطاقتك وعليها كلمتك الرقيقة عرتنى هزة شديدة كأنما أُنبئت بقدوم صديق قديم غاب عن عينى منذ عشرين سنة .

أنا امرأة ميتة ، ميتة حقاً ، لا يتذكرنى أحد ، ولا يفكر فىّ إنسان ، حتى يأتينى الموت الحق ؛ ويومئذ تتحدث الصحف عن جولى رومان ثلاثة أيام فتقص على قرائها ذكرياتها ومغامراتها ونوادرها ومآثرها ، ثم يمحونى النسيان ويطويني البلى

ثم سكتت برهة وعادت تقول :

وليس ذلك اليوم ببعيد . بعد بضعة شهور أو بضعة أيام لا يبقى من هذه المرأة الحية إلا هيكل صغير من العظام . ثم رفعت بصرها إلى صورتها التى تبسم لها : لهذه العجوز ! لصورتها المضحكة ! ثم نظرت إلى صورتى الرجلين الشاعر المحتقِر والموسيقار الملهم فكأنما يقول أحدهما للآخر : « ماذا يبقى منا هذا الطلل الدارس ؟ »

فأخذ بكظمى حزن لا يوصف ولا يغالب : حزن على العمر الذى انقضى ولا يزال يضطرب فى الذكريات اضطراب الغريق فى الماء العميق .

وكنت أنظر وأنا فى مكانى المركبات الفاخرة تخطف على الطريق الذاهب من نيس إلى موناكو ، وفيها الفتيات الرشيقات عليهن مظاهر الغنى ودلائل السعادة ، والرجال المستبشرون عليهم آثار الرخاء والغبطة . فنظرتْ إلى ما أنظر إليه ، وفهمت ما أفكر فيه ، فقالت مغمغمة وهى تبتسم ابتسامة المستسلم : لا يستطيع المرء أن يكون بعدَ ما كان !

فقلت لها : لَشدّ ما كانت الحياة فى عينك جميلة !

فتنهدت ثم قالت : نعم كانت جميلة رخية ! ومن أجل ذلك آسف عليها أشد الأسف .

ورأيت أنها على استعداد لتتحدث عن نفسها فأخذت أستفهمها فى رفق وحذر كما يجس الإنسان القرح الممض . فتكلمت عن فوزها وغبطتها ونشوتها وأصدقائها وعن كل ما يتصل بحياتها الناجحة المجيدة . فسألتها :

وهل أنت مدينة بهذا السرور المرح وتلك السعادة الخالصة للمسرح ؟

فأجابت في شدة وحدة : أوه ! كلا

فابتسمت أنا وعادت هى تقول وقد نظرت إلى الصورتين نظرة حزينة :

إنى مدينة بكل ذلك لهما .

فلم أتمالك أن سألتها : لأيهما ؟

فقالت : لهما معاً ، حتى لأخلطهما بعض الخلط فى ذاكرتى الشيخة . ولقد أحس فى نفسى وخز الضمير لأحدهما ، اليوم ! فقلت لها : لست مدينة لهما بشئ ياسيدتى ؛ إنما أنت مدينة بسعادتك للحب . فهو وحده الذى يجب أن تعترفى له بالجميل والشكر . وما كان هذا أو ذاك إلا ترجماناً له .

فقالت : ذلك جائز . ولكن أى ترجمانٍ كانا !

فقلت لها : وهل أنت موقنة بأنك كنت لا تجدين في دهماء الناس من يحبك خير الحب وكل الحب ، فيقدم إليك قلبه وفكره ووقته وحياته ، بينما هذان لم يقدما إليك إلا خصمين مخوفين هما الموسيقى والشعر ؟

فصاحت تقول بذلك الصوت الرخيم الحنون الذى يحرك أوتار القلب :

لا ياسيدى ، لا . ربما كان غيرهما يحبنى أكثر منهما ، ولكنه ما كان يستطيع أن يحبنى مثلهما . آه ! لقد غنياني أناشيد الغرام على لحن لايتسنى لغيرهما أن يوقعه ! لشد ما أطرباني وأسكراني ! هل كان فى مقدور إنسانٍ ما أن يجد ما وجداه هما من السحر فى الألحان والأوزان ؟ وهل يكفى المرء أن يحب إذا كان لايقدر أن يضع فى حبه أنغام السموات والأرض ؟ لقد عرف هذان الرجلان كيف يسبيان عقل المرأة بالنغم والكلم . أجل ربما كان فى هوانا من الوهم أكثر مما فيه من الحقيقة ؛ ولكن هذا الوهم يحملك فوق أطباق السحاب على حين تدعك الحقيقة ملقى على أديم الثرى . فإذا كان غيرهما قد أحبنى أكثر مما أحباني ، فإنهما وحدهما علماني كيف أفهم الحب وأحسه وأعبده

قالت ذلك ثم تقاطرت دموعها اليائسة فى سكون وصمت ، فتغاضيت عن ذلك وجعلت أنظر إلى بعيد حتى ثابت إلى نفسها بعد لحظات واستأنفت تقول :

كل مخلوق ياسيدى يشيخ قلبه متى شاخ جسمه ؛ ولكننى لا أخضع لهذه القاعدة ، فإن جسمى المسكين قد بلغ التاسعة والستين ، بينما قلبي البائس لايزال فتيا لم يتجاوز العشرين . ولذلك ترانى أعيش وحدى بين الزهور والأحلام

ثم تولانا صمت طويل عاودها فيه الهدوء فعادت تقول وهى تبتسم :

إنك لتسخر منى إذا علمت ... إذا علمت كيف أقضى أماسىّ كلما كان الجو جميلاً والطبيعة مشرقة . أنى لأثير فى نفسى الخجل والرثاء فى وقت معاً

فحاولت حملها على أن تقول لى ما ذا تفعل فلم أنجح . فهممت بالقيام ، ولكنها هتفت بى قائلة :

— الآن ؟

فأجبتها أنى سأتعشى فى مونت كارلو . فقالت في شيء من الحياء والحشمة : أتقبل أن تتعشى معى ؟ إن ذلك يملأ قلبي سروراً وغبطة

فقبلت دعوتها على الفور ، فتهلل وجهها لذلك ؛

ودقت الجرس فجاءت الخادم فأمرتها بما تريد ثم قامت فطافت بى كل مكان فى البيت

* * *

وكان للبيت طنف مزجج مزدان بالشجيرات المزهرة يفتح على غرفة الطعام فيرى الجالس فيه ممشى البرتقال الممتد إلى الجبل . وبين ضمائم العشب والزهر تجد مقعداً واطئاً يدل وجوده على أن الممثلة العجوز كثيراً ما تأتى فتجلس فيه

تجولنا فى الحديقة ننظر إلى فنون الزهر وضروب الشجر وأنواع الرياحين ، وكان المساء يقبل على رُود وهدوء فينشر فى جو السماء الفاتر أريج الورد والفاغية . ولم يكن غير قليل حتى غابت أواخر النهار فى أوائل الليل ، وحان موعد الطعام فجلسنا إلى المائدة

كان العشاء لذيذاً طويلاً ارتفعت فيه الكلفة بينى وبينها حين فطنت إلى ما نشأ لها فى قلبى من شدة الميل وصدق المودة . وشربت إصبعين من النبيذ كما كانوا يعبرون من قبل فاطمأنت إلى بأنسها ، وأطلعتنى على دخيلة سرها . قالت :

أنظر إلى القمر ! أنى أحبه وأقدسه . لقد كان الشاهد على سعادتى الجياشة وسرورى المرح . ويخيل إلى أن جميع ذكرياتى منقوشة على صفحته ؛ فما هو إلا أن أطالع وجهه حتى تنهافت على خاطرى سراعاً تباعاً . وفى أغلب العشايا أهيئ لنفسى مشهداً من أروع المشاهد ... مشهداً جميلاً ... جميلاً ... لو كنت تعلم ؟ ... ولكن لا ... إنك لو علمت هزأت بى وسخرت منى .. لا أستطيع .. لا أجرؤ .. لا ... لا ...

فتوسلت إليها قائلاً : سبحان الله ! ماذا ؟ أطلعينى عليه وأنا أعدك ألا أسخر منه . أقسم لك على ذلك ...

فترددت . ولكنى تناولت يديها المعروقتين الباردتين وقبلتهما مراراً واحدة بعد أخرى كما كان حبيباها يفعلان . فتحرك لذلك قلبها فقالت فى شئ من التردد :

أتعدنى ألا تضحك ؟

فقلت لها : أعدك وأقسم

فقالت : إذن تعال

ونهضت فنهضت معها ، وكان الخادم الصغير الأبله يُضحى الكرسى من ورائها فهمست إليه بكلمة سريعة فقال :

سمعاً وطاعة ياسيدتى . على الفور

وأخذت بذراعى فمشينا تحت الطنف ؛ وكان الممشى متعة للنظر وبهجة للقلب ؛ والبدر الطالع يرسم فى سوائه خطاً طويلاً من الضوء كأنه شريط من الفضة ، يقع على الرمل الأصفر بين رءوس الأشجار المدهامّة ؛ وكان الشجر فى نشوة إزهاره يسطع شذاه العبق الحاد فأفعم الليل كله . وكنت ترى من خلال خضرته الحوّاء آلافاً من الحباحب [1] تطير مضيئة لماعة كحبات النجوم ، فهتفت قائلاً :

ما أحرى هذا الزخرف بمشهد من مشاهد الحب !

فابتسمت ثم قالت :

أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟ سترى :

(١) الحباحب Luciole ذباب يطير بالليل له شعاع فى ذنبه كالسراج

ثم أجلستني بجانبها وجمجمت قائلة :

ذلك ما يبعث الأسف والأسى على الحياة . ولكنكم لا تفكرون في شيء من ذلك يا رجال اليوم . إنكم ماليون وعمليون وتجار وسماسرة ! حتى الحديث إلينا لا تحسنونه ولا تعرفونه . وإذا قلت (نا) أردت الشواب الكواعب .

لقد أصبح الحب في رأيكم علاقة تبتدئ في الكثير الغالب بحساب الخياطة ، فإذا وجدتم الحساب أغلى من المرأة قطعتم ؛ وإذا وجدتم المرأة أغلى من الحساب دفعتم .

صداقة ظريفة ... عادات ظريفة !

ثم أمسكت بيدي وقالت : أنظر ! فنظرت فإذا منظر عجيب يشدّه الفكر ويذهل الخاطر : هناك في طرف الممشى وفي ضوء القمر أقبل فتى وفتاة يتهاديان وقد أخذ كل منهما بخصر الآخر . كانا يمشيان هوْناً على الشريط الفضي فتتعاقب عليهما أضواء القمر وأظلال الشجر . وكان الفتى في لباس من الدمقس على طراز القرن الماضي ، وعلى رأسه قبعة مُراشة بريش النعام . وكانت الفتاة ترتدي حلة شمسية[1] الذيل وقد ذرّت على شعرها الزّرور الأبيض ، وصففته على نحو ما كان يصنع الحسان في العهد الغابر . فلما صارا على مائة خطوة منا وقفا في وسط الممشى وأخذا يتعانقان على أرق ما يكون الغزل والعناق بين عاشقين

تفرست في الحبيبين فإذا هما الخادمان : الغلام والجارية ! وحينئذ استخفني الفرح وماد بي السرور حتى التوى جسمي على المقعد . ومع ذلك غالبت رغبة الضحك كما يغالب الجريح رغبة الصياح فلم أضحك . ولكن الخادمين عادا إلى آخر الممشى فعاد منظرهما أخّاذاً يملك القلب . ثم أخذا يبتعدان رويداً رويداً ، ويختفيان شيئاً فشيئاً ، حتى ذهبا كما يذهب الحلم

* * *

وانقلب الممشى بعدهما موحشاً كئيب المنظر . وذهبت أنا أيضاً حتى لا أراهما على الحال الطبيعية . فإن هذا المنظر الذي بعث الماضي كله يجب أن يبقى طويلاً . أجل ، بعث ذلك الماضي كله : ماضي الغرام والزينة والبذخ ؛ ماضي التصنع والخداع والغواية ؛ ماضي الرشاقة والفتنة بالحق وبالباطل ، ذلك الماضي الذي لا يزال يحرك شعور الممثلة الشيخة ، ويهز قلب العاشقة العجوز :

الزيات

(١) ذيلها على شكل المظلة

في أصول الأدب

للأستاذ احمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث تحليلية طريفة في الأدب العربي وتاريخه . منها تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل المؤثرة في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم والعالم تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ الخ ...

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنه ١٢ قرشا